الفصل السادس عشر

همـــوم وغـــزوات

استمر الترك والتتر يقومون بتهديداتهم بشكل دوري لأن الخان كان في كل ربيع يقرر الأخذ بالثار لإضاعته قازان وأستراخان . ففي كل ربيع كانت قوافل الجنود والجمال المحملة والخيول الصغيرة الحجم التي لا يحصيها عدد والانكشاريون والأمراء التتر ورجال المدفعية وحملة السهام والفرسان الأتراك من حملة السيوف ينقضون نحو الشمال مجتاحين السهول ومهددين وادي الأوكا ومدن تولا وكولومنا وموسكو . وكان سلطان تركيا يشجع هذه الغزوات ويشعر بالغضب لأنه كان مقصراً في حق الإسلام . وأخيراً كان لا بد للتتر وفي عهد إيڤان نفسه من بلوغ غايتهم بالوصول الى موسكو وإحراقها وإبادة سكانها. فالخطر كان حقيقياً وكان يبدو في بعض هذه الهجمات ضراوة تكاد لا يمكن مقاومتها .

وفي عام ١٥٥٦ بينما كانت القبيلة(*) تتقدم هوجمت بغتة من جانبها على يد القوزاق الذين أحرزوا نصراً مظفراً بين الدون والدنيبر فازاح هذا النجاح بدون شك خطر التتر لبضع سنوات . وقد دفعت هذه المناوشات التي كانت تقع في الجنوبي الغربي نبيلا ليتوانيا ذا سمعة طيبة هو الأمير فيشنيڤتسكي الى الخروج من بلده مع كوكبة من الفرسان للدخول الى جانب الروس في هذه المعارك المقدسة فاغضب الملك

(*) القبيلة La Horde يقصد بها التتر — المترجم —